هيلعلا وه

هل العارف لا يهتمّ بالسلبيّة الاجتماعيّة؟

شرح حديث عن ابن الصبّاح - المحاضرة ٧٠

العاقل

آية الله السيّد محمّد سعيد الحسينيّ الشهرستانيّ
درس الله سدّده

@MadrastAlwahy

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد
وعلى آله الطيّبين الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين

كان الحديث يدور حول تنظيم العلاقات والارتباطات، وطريقة ترتيب البرنامج خارج المنزل ودخله؛ هذا مع أنّنا لم نتحدّث بعدُ عن المنزل، حيث من المقرّر أن نتكلّم عنه قليلاً؛ أيضاً، ونتحدّث إن شاء الله تعالى في بعض الجلسات عن كيفيّة ارتباط الإنسان بأفراد العائلة؛ أعمّ من الزوجة والأولاد والأقارب.

التوحيد هو الأساس الذي تتمحور حوله أحكام الإسلام والمعارف الإلهيّة

فالمسألة الأساسيّة والمحوريّة التي ينبغي علينا البحث هي مسألة العبوديّة والتوحيد، بحيث إنّ كيفيّة تنظيم الأمور وترتيبها وتدبيرها تتمّ بواسطتها. فكما بيّنا سابقاً، فإنّ الأساس الذي تتمحور حوله أحكام الإسلام وكافّة المعارف الإلهيّة هو التوحيد؛ ففي كلّ مكان وموضع وموقف أو وضع نرى أنفسنا أمام أو تجاه أمر، فقط يخطر المسائل بنفسه، يتوجّب علينا أن ننتبه إلى أنّ المسألة بدأت تنحرف عن المسار الواقعيّ والطريق الحقيقيّ؛ هذا الأمر لا يحصل للناس العاديّين فقط، بل إنّ هذه الحقيقة والواقعيّة قد تحدث حتّى للمشتغلين بهذه الأمور والعلوم والأخبار والمصنّفات؛ فلا يوجد لدينا أيّ مسوّغ للقول: أنا لا أعلم على هذه المسائل، فإنّه لن يُواجه فيها أيّة مشكلة، ولن يقع في أيّ من أنّ فلاناً لا الطّلاع على هذه المسائل وإدراكها يتنافى مع الزهد والتقوى»؛ لذلك لا يتلازم أبداً أن يكون الاطّلاع عليها قد يكون مفيداً بالنسبة للمتديّنين والمتفقّهين، ولكن مع الإدراك الظاهريّ والعلوم الظاهريّة؛ هذا، مع أنّ الاطّلاع على هذه المسائل والعقائد والمعارف

لا أعلم هل تحدّثت الرفقاء بالمسألة التالية أم لا؛ فذات يوم، ذهبت في إحدى المدن لعيادة أحد المشايخ في مرضه، وكان من الأشخاص المشهورين جدًّا، وقد انتقل إلى رحمة الله، حيث كان يعقد جلسات في دروس الأخلاق، ويُقيم مجالس للذكر والتوكّل يتردّد عليها الناس، وكان كلامه جيّدًا وحديثه حلوًا. حينما جلست هناك، لاحظت أنّه يُعاني قليلاً؛ فكان من الواضح أنّ المسائل التي يذكرها تختلف من حين لآخر، وكانت طريقة حديثه تتغيّر، حيث كان يعيش حالة من المعاناة. وبعد مرور عشرين دقيقة أو نصف ساعة، جاء أحد المسؤولين الحكوميّين، وجلس هناك؛ إذ كان هو أيضًا من محبّيه؛ فما إن رآه، حتّى قال له من دون أن يلتفت إلى أنّ المجلس يحضره أفراد آخرون، وقد لا يكون من المناسب الحديث بهذا الكلام:

«أيّها السيّد، إلى ماذا ستؤول القضيّة المتعلّقة بابني؟ فبعدما تبدّلت المكانة التي يحظى بها فلان، وفقد منصبه، ما هو مصير قضيّة ابني؟ فأنا أعيش قلقًا يوميًّا عليه، بحيث لم أنم البارحة حتّى الصباح!»؛ فكنت أنظر إليه، وأقول [مع نفسي]: «هذا هو معلّم الأخلاق الذي ألهى الناس طيلة سنة كاملة بالحديث عن التوكّل!!»، حيث كان يقول: لقد استُبدل الوزير الفلاني، واستُبدل المسؤول العلاّني، وفقد منصبه»؛ فانتابني الضحك، وقلت له: «يا عزيزي، هل إنّ ابنكم ينام في الشارع، حتّى تقلق عليه؟! متى ما ألقوا به في الشارع، تفضّلوا بتقديم طلباتكم وتزكياتكم».

فهذا الذي أريد قوله: إنّ الاطّلاع على هذا المسائل مفيد جدًّا بالنسبة للذي يسعى

للحصول على هذه الحقائق، لكنّه لا يُمثّل كلّ المسألة؛ إذ تلزم العناية الإلهيّة والتوفيق الإلهيّ، حتّى يتمكّن الإنسان من تخطّي هذا الأمر، والتحقّق في ذاته بهذه المسائل، وهضمها وإيجادها في نفسه، ولمسها.

نزرٌ من أحوال العلّامة الطهرانيّ رضوان الله تعالى عليه في تعامله مع المسائل الاجتماعيّة

حينما رجع المرحوم الوالد رضوان الله تعالى عليه من النجف إلى إيران، فإنّه أوّلًا:

كان رجوعه بأمر من أستاذه، حيث إنّ الرفقاء مطّلعون تمامًا على هذه القضيّة، وقرؤوها في الكتب، ووقعت أحداثها الدقيقة بالنحو الآتي: فبعدما التقى بالمرحوم السيّد الحدّاد رضوان الله

تعالى عليه، وفي إحدى الزيارات التي قام بها بعد شهر رمضان لمزارات الأئمّة عليهم السلام، ذهب بداية إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث احتمل أنّه أشار إلى هذه المسألة في كتاب الروح المجرّد[1]؛ وبعد أن خرج من الحرم، التفت السيّد الحدّاد في الإيوان

الذهبيّ ـ رزق الله كافّة الرفقاء الزيارة إن شاء تعالى، لا سيّما زيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى يرون ما هي الأخبار والأجواء السائدة هناك، وأيّ جلال وبهاء هناك! ـ وقال له: «لقد بعثك عليه السلام إلى إيران، وعليك الرجوع إليها، والسكن في طهران».

فجاء إلى إيران، وبدأ بمزاولة أعماله هناك، حيث استقرّ في طهران لمدّة إثنتي وعشرين سنة تقريبًا؛ لكنّ أسّ المسألة وبيت القصيد يكمن في أنّه: طيلة هذه الإثنتين

وعشرين أو الإحدى وعشرين سنة التي قضاها في طهران، كانت طريقة عمله وارتباطه بمحيط عمله فيما يخصّ المسجد، والجلسات، والرفقاء، والغرباء، والأشخاص الذين يتردّدون عليه، ويسألونه، ويطرحون عليه الأسئلة الفقهيّة، وكذا بالنسبة لبقيّة المسائل، حيث كنت أراه يقضي أوقاته في المطالعة بالليل، ويرجع إلى المصادر، ويستند إليها من أجل الإجابة عن الأسئلة؛ وكذا، يُقيم جلسات للتفسير؛ وفي ليالي الثلاثاء، كان يعقد درسًا للأخلاق، ويشرح الأحاديث القدسيّة، وكذلك الشأن بالنسبة لجلساته يوم الجمعة، وفي عصر الجمعة بشكل عامّ، والخطب التي كان يلقيها من على المنبر في شهر رمضان وبقيّة الأيّام،

[1] الروح المجرّد، ص ٣٩.

فبعدما سافر إلى مشهد، وتشرّف بلثم أعتاب حرم الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، سألته ذات يوم بخصوص قضيّة معيّنة، فقال لي: «يا فلان! إنّني لم أتعلّق طيلة الإثنتي عشرة سنة التي قضيتها في طهران بذلك المسجد وتلك الأحوال، ولو بمقدار ذرّة؛ كما أنّني لم أمكث في طهران في تلك المدّة، ولو لساعة واحدة بإرادتي واختياري؛ وقد طلبت من أستاذي عدّة مرّات أن يعفيني من الذهاب إلى المسجد، ويسمح لي بالبقاء في البيت، والانهماك في مسائلي العلميّة وارتباطاتي الشخصيّة؛ لكنّ السيّد الحدّاد لم يُوافق طيلة تلك المدّة، وكان يحثّني ويُشجّعني على المحافظة على المسجد والذهاب إليه»؛ وهذه المسألة بمثابة ردّ على الذين يقولون: «في المسائل العرفانيّة، لا ينبغي على الإنسان أن يهتمّ بشؤون المجتمع!»، حيث يوجد هناك من يدّعي هذا الأمر؛ وحتّى أنّني سمعت البعض يقول في السنوات الأخيرة من عمره الشريف: «أجل، هناك جماعة تذهب إلى بعض المدن، وتختار الجلوس، من دون أن يكون لها أيّ شغل بالناس، ولا أيّ اهتمام بالمجتمع؛ وهي تدّعي العرفان!»؛ وبالنظر إلى القرائن المحفوفة بهذا الكلام، فإنّ مراد ذلك المتكلّم من حديثه هو المرحوم الوالد قطعًا؛ مع أنّه إجحاف كبير وجهل تامّ بإنسان جعل حياته بأجمعها وقفًا في سبيل الله تعالى؛ وكيف أنّه، ومع كلّ تلك المعاناة التي كان يُقاسيها ... ففي أحد الأيّام، قلت له: «يا سيّدي! ألم يكتمل ألبومكم الشخصيّ من الأمراض حتّى تتعرّضون كلّ يوم لمرض جديد؟!»؛ فقال لي: «أيّها السيّد! ما هي الفائدة من هذين اليومين من حياتنا حتّى نريد ... ففي نهاية المطاف، سينتهي هذان اليومان ويكتملان؛ فما هي قيمة أن نتألّم، أو لا نتألّم، أو نظلّ أصحّاء؟ وما هي قيمة أرواحنا؟! فتعال لنهتمّ بأعمالنا».

تباطخلاو ربنملاو ثحبلاو عمتجملاو سانلاب طبترين امف هلاغشأ لكي يّدؤُي نان كدقل نان كي ذلا دادحلا ذّيسلا موحرملا هذاتسأ نم رمأب ةلئاعلا روم أ رييستو ،رسلأا نوؤشريبدتو لئاسملاب ءانتعاو ،ةّيعامتجلاا روملأاب امتها هلنكيملو ،أفراع ءايلوأ نم أيلوّن أ فيكو ،راسملا ةمقاتسلاو قيرطلا ةحصى لعل ديذاهو !؟مّتفتلا لهـ ؛ةّينفلا كلتبّي عامتجلاا وّي ملاسلإا وبرتلا هاظنلا ةرادإ قيرط يف هذيملتعضو رزّفُي ىلاعتلا الله ىّتح ،لئاسملا ضعب ةّيلوؤسملّ محتمدع نم هّرذحُيو ،نزاوتلا كلذو ةّقدلا كلتو ةقيرطلا مهغلابإو سانلا غيلبتبطبترملاّي هلإا فيلكتلا كلذب مايقلا نم نّكمتي.

لقد كان بإمكان المرحوم العلاّمة أيضاً ... ؛ فأنا لديّ اطّلاع على ذلك، حيث كنت

مشاركاً في إحدى الجلسات، وكان يحضرها العديد من الأفراد؛ فتركوا الصلاة في المسجد
في أوّل الوقت، لمجرّد أنّهم كانوا يشعرون بالتعب، أو مثلاً أنّ أحواله لم تكن على ما يُرام،
وقد اجتمعوا مع بعضهم؛ فجلسوا يتحدّثون مع بعضهم، وتركوا الصلاة في أوّل الوقت، إلى
أن حلّت الساعة الحادية عشرة والنصف، وهم لم يُصلّوا بعد!! فهل هؤلاء هم الذين يهتمّون
بشؤون المجتمع، وأمّا الأفراد مثل المرحوم العلاّمة هم الذين اختاروا العزلة، وتنحّوا جانباً
من دون أن يكون لهم أيّ شغل بالناس؟ فهل هذا هو مقتضى الإنصاف!؟ إذا كنتم لا ترغبون
في أن تكونوا مع منهج الحقّ، فلماذا تعمدون إلى استغلال الآخرين؟ فما هو خلكم بهم؟ إذا
كنتم لا تستعون إلى إصلاح أنفسكم، فلماذا تُنقصون من ذلك بالآخرين؟ ولماذا تُلصقون
هذا بالمرحوم العلاّمة، مع أنّي أتذكّر أنّه حينما كان ينتهي من جلسة يوم الجمعة ... وهذا، أريد أن أحدّث الرفاق بقضيّة تستوجبها عند التطرّق لمسألة العلاقة
وكذا؟ فما هي مثرته بالنسبة إليكم؟ هذا، مع أنّي أتذكّر أنّه حينما كان ينتهي من جلسة يوم
الجمعة؛ حيث كان يعقد تلك الجلسة حينما كانت بالتناوب بين منازل الرفاق في صباح يوم
بالمنزل، حيث كان يعقد تلك الجلسة حينما كانت بالتناوب بين منازل الرفاق في صباح يوم
الجمعة؛ وحينما انتقلت هذه الجلسة إلى مسجد القائم، صارت تُقام في الساعة الثامنة
والنصف أو العاشرة، وتستمرّ إلى الظهر، ثمّ يُصلّون جماعة، ويُغادرون المكان؛ وأمّا قبل
انتقال الجلسة إلى المسجد، حيث كانت بالتناوب، فإنّهم كانوا في تلك السنوات يأتون في
الصباح، ويتناولون الفطور، ويعقدون جلسة قرآنيّة، ثمّ يُقيمون المرحوم العلاّمة كلمة، ويقرأ
العزاء بنفسه، ويواصل [الجلسة] أحد الأشخاص الذين لهم اطّلاع إلى حدّ ما؛ وقد كانت جلسة
جميلة جدّاً، وكانت المدّة الزمنيّة التي تفصلها عن موعد الذهاب إلى المسجد ساعة إلى ساعة
ونصف تقريباً؛ فكان يأتي المرحوم العلاّمة إلى المنزل في هذه الفترة، ثمّ يخرج بعد ذلك إلى
المسجد؛ واحتفظوا بهذه المسألة إلى أن يأتي الوقت المناسب كي نتحدّث عنها. وفي بعض
الأحيان، كنت أرافقه إلى المسجد، فأراه يُصلّي النوافل حين اقتراب أوان الظهر، وعندما
يحلّ وقت الصلاة، يأمر أحد الأشخاص بترديد الأذان؛ مع أنّه قد لا يكون بالمسجد سوى
أربعة أو خمسة أفراد، ولم يأتِ الناس، ولم يجتمعوا بعد؛ حيث كان يقول: «تعيّن إقامة الصلاة
في أوّل الوقت، ولا ينبغي تأخيرها بحجّة اجتماع المأمومين والمريدين»؛ وحينئذٍ، هل يصحّ
القول: إنّ هذا السيّد يسعى لجمع المريدين؟!

وعندما كان يحلّ الليل، كان يذهب إلى المسجد، وكان معظم سكّان الأحياء المحيطة
بمسجد القائم في شارع "سعدي" ينتمون إلى الأقلّيّات الدينيّة؛ فكان روّاد المسجد من التجّار
وأمثالهم، حيث كان هؤلاء أحياناً يقولون عند حلول وقت صلاة الظهر: «على الأرجح أنّه لا
يزال هناك مشترون»؛ فإلى أن يأتي المشتري، يقضون له حاجته، ليلزم أن يأخذ الأمر
مقداراً من الزمان؛ حتّى إذا أرادوا أن يصرفوا النظر عن ذلك، فإنّهم سيخسرون ذلك

المشتري. وفي جميع التقادير، إلى أن يأتي هؤلاء إلى المسجد، تكون قد مضت عشرين دقيقة أو نصف ساعة تقريبًا؛ وحينما كان يصِلون إلى المسجد، كانت صلاة المغرب قد أقيمت؛ فكانوا يقولون: «يا سيّدي، اصبر قليلاً إلى أن يصل المؤمنون - وكنت أسمع البعض ينطق الهمزة عينًا فيقول "المعمنون" بدلاً عن "المؤمنون"!!! -[1]، ويصل المريدون، فتُقام الصلاة بحالة من العظمة والأبّهة»؛ لكنّه كان يقول: «الصلاة في أوّل الوقت مستحبّة، فكل من أراد المجيء، فليأت، وكلّ من لم يُرد ذلك، فهو حرّ»؛ وهنا يتّضح أنّه حينما كان يقول: «لم يكن لدي أيّ تعلّق بهذا المسجد، ولو بمقدار ذرّة واحدة»، فإنّه كان صادقًا في كلامه؛ هذا، مع أنّه في الوقت ذاته كانت تصرّفاته وأعماله هي بنحو ـ وكما أشرت إلى ذلك آنفًا ـ بحيث إذا نظر أحد إلى ذلك الاهتمام، وتلك الدقّة، وتلك المتابعة، وذلك التدبير وإدارة الأمور المرتبطة بالمنبر والناس، ورأى تلك الحميميّة وذلك الكلام الذي كان يخصّص به الأفراد واحدًا واحدًا، فإنّه سيقول: «إنّ هذا السيّد يُريد توريث هذا المسجد لذرّيته من بعده، ويترك موطأ قدم للأشخاص الذين سيأتون بعد ستّة أجيال من بعده!»، وانتبهوا، فإنّ هذه المسائل مهمّة جدًّا!

نظرة العارف الإلهيّة تمتدّ إلى أقصى نقاط العالم

لكن، بعد ذلك، التفت إلى أنّه صار ملزمًا بالرحيل إلى مشهد، حيث كان ذلك بدوره امتثالاً لأوامر أستاذه؛ وهي مسألة لم يطّلع عليها أيّ أحد؛ فقال له: «إنّ بقاءك في طهران لم تعُد فيه أيّة مصلحة، وعليك الذهاب إلى مشهد، والانهماك في تأليف هذه الكتب للأجيال التي ستأتي بعدك»؛ فمن قال له ذلك؟ إنّه رجل لا يهتمّ [على حدّ زعمكم] بالمجتمع! فيا أيّها السادة، لنفتح أعيننا جيّدًا، لكي نرى ما هو المدى الذي بلغته مدرسة العرفان، ومَن هم الأفراد الذين تهتمّ بهم؛ فهو [أي السيّد الحدّاد] لم يكن يهتمّ بأنّ هذا الشخص قد جاء عنده، فصار كاملاً، وبلغ مرتبة الفناء، وحصل له البقاء، لا! بل إنّ تلك النظرة الإلهيّة التي يمتلكها وليّ الله تمتدّ إلى يوم القيامة، وليس فقط إلى متر واحد أبعد من موضع قدميه.. إنّ تلك الرؤية الإلهيّة التي يتوفّر عليها العارف تمتدّ إلى أقصى نقاط العالم، فتصل إلى منزل تلك العجوز المسيحيّة التي تعيش في المكان الفلانيّ من أمريكا، أو أوربا، أو إفريقيا، أو الجزر البعيدة، أو المحيط الهادىء؛ وانتبهوا، فإنّ المسائل التي أعرضها على مسامعكم ليست مجرّد ألفاظ جوفاء! فالمرحوم العلاّمة قال لي: «يا فلان، لقد بسطنا مائدة لنجمع عليها جميع الناس من كافّة الأمم والشعوب»؛ فهذه العبارة عبارته هو، وهو لم يكن يُغالي في كلامه، حيث قال: «جمعنا عليها جميع الأمم والشعوب، فلا تظنّ بأنّ هذه الكتب ألّفتها لهذه الثلّة القليلة من الأصدقاء والرفقاء فقط، بل صنّفتها أيضًا لتلك العجوز المسيحيّة القاطنة بأقصى نقاط العالم،

[1] تجدر الإشارة إلى أنّ حرف العين يُنطق في اللغة الفارسيّة بالألف؛ ولهذا، فإنّ الناطقين بهذه اللغة يجدون صعوبة في التفريق بين هذين الحرفين؛ بل إنّ بعض المتنطّعين في الدين يُبالغون أثناء قراءة القرآن الكريم في التشديد على العين لكي تتميّز عن الألف. المترجم

والتي سيبلغها كتابي هذا، ويقلب كيانها، ويُضيء قلبها بنور الإيمان، فتعتنق الإسلام، وتضحى من شيعة عليّ بن أبي طالب». فهذا هو الكلام الذي قاله لي في طريق عودتنا من زيارة الإمام الرضا.

فهذه المسألة لا تدخل في باب الهزل، بل إنّ هذا هو العرفان؛ فمن الذي قال إنّ العارف اختار العزلة؟! ومن الذي قال إنّ العرفاء يقتصرون على الاهتمام بشؤونهم الشخصيّة، ولا شأن لهم بأيّ إنسان آخر؟! ومن الذي قال إنّهم لا يهتمّون بالمسائل الاجتماعيّة؟! فما هذه الترّهات؟! فهل تجدون من بين المدّعين لنشر الدين وتبليغ مدرسة الرسول أحداً ما إن رجع من المستشفى إلى البيت، حتّى حمل كتابه، وشرع في التأليف، وهو راقد في السرير؟ دلّوني على هكذا شخص! فما هو سبب ذلك؟ سبب ذلك أنّ ما يراه ويُدركه هو يفوق تصوّراتنا وتخيّلاتنا؛ فنحن لسنا بهذا النحو، فلماذا نكذب على أنفسنا؟ لماذا؟ فإذا كانت أحوالنا سيّئة، فإنّنا سنقول: إنّ أحوالنا غير مناسبة، فلا رغبة لنا بذلك؛ لأنّنا لا نشعر بالتعب، وكذا؛ ومتى ما تحسّن مزاجنا، وتحسّنت أحوالنا، فإنّنا نحمل القلم، ونبدأ على بركة الله في الكتابة قليلاً، ثمّ نكتب سطرين، ونقول: «قد تعبنا! فلنتوقّف الآن، ونرجع بعد ساعتين»؛ وأمّا أولئك العظماء، فإنّهم يشعرون في كيانهم بعين ذلك الاهتمام وتلك الهمّة اللذين كان يحسّ بهما عظماء الدين وزعماؤه، بخلافنا نحن، فإنّنا لا نشعر بذلك، حتّى نقترب بأنفسنا من هذه المسألة، وتتجلّى هذه الحقيقة والنورانيّة عليها.

وتحضرني الآن مسألةٌ أرى من المؤسف ألاّ أحكيها للرفقاء؛ فقد اطّلعت عليها بعد وفاة [المرحوم العلاّمة]، وهي من أسراره الخاصّة، ولا إشكال في إفشائها الآن، حيث اكتشفت ذات يوم عن طريق إحدى القضايا والجهات أنّه ذكرها لأحدهم بشكل خاصّ وسرّي، فقال له: «حينما أكون مختليًا بالله تعالى أناجيه، فإنّني أشعر في سويداء قلبي بأنّني أريد منه تعالى ومن إمام الزمان ـ إذا كان ذلك ممكنًا ـ ألاّ تمنحني يا إلهي ذلك المقام الرفيع، وذلك الفناء والبقاء، وكلّ ما تحدّث عنه العظماء والعرفاء، وعوضًا عن ذلك، تُؤيّد دينك الذي أرسلته للناس؛ ومرادي من ذلك ما أنا في صدد بيانه، وطرحه في كتبي وكلماتي»؛ وأمّا نحن، فما الذي كنّا سنقوم به تجاه هذه المسائل؟ فلو قيل لكم الآن: «يا أيّها السيّد، لا توجد أيّة فائدة في مجيئكم إلى هنا»، فلن يوجد أيّ داعٍ لمجيئنا؛ وحينئذ، لماذا سنقوم من مكاننا، ونأتي؟ ولو قيل لي: «يا أيّها السيّد، لا توجد أيّة فائدة متوخّاة من الكلام الذي تتفوّه به، ولن يُسجّله الله تعالى في ملفّك»، فإنّني سأقول: «أنا جالس في بيتي، فما الداعي لكي أقوم من مكاني، وآتي [إلى هنا]؟!».

العارف يُقدم على أعلى درجة من التضحية في سبيل هداية الناس

أنا أريد أن أتحدّث عن مسألة دقيقة جدًّا، ولا أعلم هل لتمكّن الرفقاء من استيعابها أم لا؟ فما هو أعلى هدف وأرفع غاية يتوخّاهما الرجل الإلهي؟ أن يصل إلى ذلك الرضا الإلهيّ، ويحصل لنفسه على تلك المقامات، ويُفعّل لذاته تلك الاستعدادات، ويُبدّل لأجل نفسه تلك الجهالات إلى علم، ويصل إلى كلّ ما يُحوّله من إنسان عاديّ إلى إنسان فوق البشر؛ وهذه

مسائل ليست دينيّة، بل تنضوي بأجمعها في مضمار الأهداف الإلهيّة والروحانيّة، والتي
خلقنا ووُجدنا لأجلها أساساً؛ ومع ذلك، فإنّنا نجده هنا يترقّى درجة أعلى من ذلك، ويقول:
إلهي، إنّ ذلك الجانب من العطف والرحمة والمحبّة تجاه إرشاد الناس وهدايتهم، وتجاه ما
تتحمّله العظماء من الأذيّة والأولياء، وتحمّلوا في سبيلها كافّة المشقّات، وزرحوا تحت
تعب لأجلها العظماء من الأنبياء والأولياء، وتحمّلوا في سبيلها كافّة المشقّات، وزرحوا تحت
.... القيود والأغلال لأجلها

هل تعلمون أنّ الإمام الجواد قطع المسافة من كربلاء إلى الشام في مدّة تتراوح بين
ثلاثين إلى أربعين يوماً، حسب القول التاريخيّ، وهو يتنقل من مكان إلى آخر في
وضعيّة [مزريّة]، وقطع الصحاري والجبال مقيّداً بالسلاسل والأغلال؟ فما الذي يحكيه لنا
التاريخ؟ أو الأحوال!؟ فما هي الأوضاع التي كان يعيشها موسى بن جعفر أيّاً قبل
الإمام الجواد!؟ لقد كان الأئمّة يُعانون من السجن والنفي والتعذيب والسوط؛
التي كان عليها الإمام الجواد!؟ لقد كان الأئمّة يُعانون من السجن والنفي والتعذيب والسوط؛
فموسى بن جعفر لم يكن يُقاسي في سجن السندي بن شاهك من الحبس فقط، بل كان يرزح
تحت التعذيب وضرب السياط أيضاً؛ فهل تعلمون ما الذي يعنيه ذلك؟ هل رأيتم ما هي
الأعمال التي يقومون بها في السجن؟ لقد كان موسى بن جعفر يُعاني من السوط والتعذيب،
حيث نُقلت هذه الأمور في كلّ مكان.

فاحتجاز الإمامين الحسن والحسين، والتشرّد، جميع المشاقّ، وأمثال ذلك من
القضايا التي حصلت لهم أحدثت في الروح والداخلة، بحيث كان يقول: «إلهي، إن أكن
لا أتمنّى هذه المقامات، لكنّك تجعل مثل تلك المشاقّ التي تحمّلها هؤلاء العظماء،
وكلّ إنسان وجل [فاعل]»؛ فهذه هي حقيقة المسألة؛ هو يتعبّر عن غاية التضحية التي يقوم بها
الإمام؛ إلهي شهم في مقام الإيثار والفداء؛ أي أنّه لا يوجد ما هو أرقى من ذلك، ولا يُمكننا تصوّره؛
إلهي شهم في مقام الإيثار والفداء؛ أي أنّه لا يوجد ما هو أرقى من ذلك، ولا يُمكننا تصوّره؛
بمعنى أنّه لم تحصل لي أنا شخصيّاً حالة كهذه؛ هنا نحن نقطع على حدّ الإجمال والإبهام نستطيع
أن نتصوّر كيف أنّ أحداً يستعدّ للتغاضي عن الرضوان الإلهيّ، في مقابل أن يذهب تعب
الأئمّة هدراً؛ فهل بوسع أحد القيام بذلك؟!

إذا كنّا نعلم أنّ الإمام الزمان عليه السلام قال لأحدنا: «عليك القيام بهذا العمل، غير أنّك
تفرض أنّ الإمام الزمان عليه السلام قال لأحدنا: «عليك القيام بهذا العمل، غير أنّك
تعتذر، فلن أهبك أيّ شيء، لا سعادة الدنيا، ولا الآخرة، ولن أمنحك أيّ أجر عليه، لكنّه
تعتذر، فلن أهبك أيّ شيء، لا سعادة الدنيا، ولا الآخرة، ولن أمنحك أيّ أجر عليه، لكنّه
سوف لن تتذوق طعم هذا العمل الذي يستوقف به الإمام الزمان عليه السلام، فهل نستطيع
أن نغرب عن هذه الحالة؟ لن نتذوق طعم هذا العمل الذي يستوقف به الإمام الزمان عليه السلام،
أن نغرب عن هذه الحالة؟ لن نتذوق طعم هذا العمل الذي يستوقف به الإمام الزمان عليه السلام،
فنحن نغرب في القيام بالعمل، حتّى نصل إلى نتيجة عمليّة! هذا، مع أنّنا لا نقول هذا لنثني
فنحن نغرب في القيام بالعمل، حتّى نصل إلى نتيجة عمليّة! هذا، مع أنّنا لا نقول هذا لنثني
الإمام الزمان عن أن يغرب في القيام بالعمل، بل إنّنا نتغاضى عن هذا الأمر؛ لكن، كلّ
الإمام الزمان عن أن يغرب في القيام بالعمل، بل إنّنا نتغاضى عن هذا الأمر؛ لكن، كلّ
فرد من أفراد الأئمّة، ومرافقة الأئمّة، ومصاحبة العظماء، ومخالطتهم؛ فلو جاء
فرد من أفراد الأئمّة، ومرافقة الأئمّة، ومصاحبة العظماء، ومخالطتهم؛ فلو جاء
في النجف، ومرافقة الأئمّة، ومصاحبة العظماء، ومخالطتهم؛ فلو جاء
في النجف، ومرافقة الأئمّة، ومصاحبة العظماء، ومخالطتهم؛ فلو جاء
الإمام عليه السلام، وقال لنا: «إذا قمتم بالعمل الفلانيّ، فلن يكون ثوابه هو مرافقتي هناك،

لكنّه سيحوز على رضاي» فإنّنا لن نقوم به، بينما كان المرحوم العلاّمة سيقوم به؛ ولهذا، فإنّنا نقول إنّه لا يُمكننا أبدًا تصوّر المرتبة من الإيثار والفداء التي ينبغي على الإنسان الوصول إليها، حتّى يتسنّى له القول بهذا الأمر؛ فلا يُمكن لأحد تصوّر ذلك.

وكنت أريد القول هنا: حينما تقرّر أن يذهب [المرحوم العلاّمة] إلى مشهد، جاء العديد من الناس لاعتراضه عليه، وقالوا له: «يا سيّدي، لقد بذلت كلّ هذه المشقّة في سبيل المسجد، حتّى يعلم القوم بأنّ أوضاع المسجد كانت في السابق بحنو وغير؛ وقد كان [المرحوم العلاّمة] يتدخّل في الشؤون المتعلّقة ببناء المسجد، ويُبدي رأيه ويُقدّم خططه بشأنها، وكان يزوره من القرّاء المقدامة بأن يتفقّد المسجد بنظافة، فكان يزعج من وجود شيء من المقامة في السائل ذات الصلة بالمسجد، فكان يُقدّم منه، ويُنادي على الخادم: «لماذا لم ترفع هذه المقامة أيّها السيّد؟ لماذا هذا المكان متّسخ؟» ويقول له: «لقد ذهبت كي أتوضّأ، فوجدت بأنّ المكان الكذائي من محلّ الوضوء متّسخ» فيُنبّهه، ويُوبّخه، ويُحاسبه.

لكن، حينما تقرّر أن يرحل إلى مشهد، تخلّى عنه دفعة واحدة؛ وكأنّه لم يكن أيّ مسجد باسم مسجد القائم من الأساس؛ فكان يأتي عنده الأقرباء والمشايخ والأناس العاديّون والغرباء، ويقولون له: «يا سيّدي، هلاّ تركت هنا أحد أبنائك كحدّ أقلّ، فقد بذلت جهدًا كبيرًا في سيّدي، ومن هذا الذي يُقدم على هكذا فعل؟ يا سيّدي، كذا وكذا ...».

الهدف الأساس لا تلفّت عن التوجّه إلى فخّ دنيء لمتجمّع

ذاتيوم، قال لي، ولا أعلم هل اختصّني بهذا القول أم أنّ بقيّة إخواني كانوا حاضرين أيضًا: «يا عزيزي، أو يا أبنائي، حينما أتيت إلى طهران، فإنّ وجودي فيها لم يكن برغبتي ولا باختياري، ولو لساعة واحدة، فلا تدعوا هذا المسجد وهذه الأمور تُكفّكم عن طريقكم! ولا تجعلوها تُقلّعكم عن إخراجكم! ولا تسمحوا لها بأن تخدعكم! ولا تتوقّفوا في الطريق؛ لأنّه إذا تحقّقت جميع هذه الأمور عبارة عن أفخاخ؛ فجميع هذه الأمور تدعوها تغلّ أقدامكم!» ـ أي عدم التعلّق بالمسائل الدنيويّة ـ لكن من دون الالتفات إلى الصحيح والمسار الصحيح، ذلك الهدف الأساس، فإنّها تتوجّه إلى أفخاخ وشباك؛ هذا، مع أنّ حديثي هذا لا يختصّ بالمسجد، بل بكافّة الأمور التي تُشكّل مجموعة وخدود حديث مفصّل بخواتيمه، إذا أراد الإنسان [أن يحترف] بمقدار ذرّة ... فحينما يرجع الإنسان إلى نفسه، يستطيع بمقدار [أن يتطلّع على نيّته]؛ فلا يُمكننا القول إنّنا لا نستطيع ذلك، بل كلّ واحد منّا يستطيع، وأنا

بدوري أستطيع ذلك؛ ففي بعض الأحيان، يبعث إليّ الأصدقاء برسائل يسألونني فيها: يا سيّدي، كيف نعرف هل نحن مخلصون أم لا؟ وكيف نكتشف بأنّنا عملنا في المسألة الكذائيّة مثلاً لأجل الله تعالى أم لا؟ لا، نحن بأجمعنا نعلم، لكن شرط أن نخلص في ذلك؛ فحينما أرجع إلى نفسي، على أن أرى هل إذا قيل لي فجأة: أيّها السيّد تنحّ جانباً، فلا نريد منك بعد أن تعقد هذا المجلس، تفضّل، واسترح في بيتك قليلاً، ودع هؤلاء الأساتذة يرتاحون بدروسهم قليلاً، حتّى لا يُعانوا بعد ذلك من المتاعب، حيث نجدهم يأتون من هذه الناحية، ومن تلك، ويجيئون من المدن الأخرى معتقدين بوجود مسائل مفيدة هنا! لا، قم من هنا، وغادر هذا المكان! فإن قيل لي: «أيّها السيّد تنحّ جانباً» ولم يُحرّك في ذلك ساكناً، ... وأمّا إذا رأيت خلاف ذلك، ...؛ فإلى ماذا يسؤول إليه الأمر في الأخير؟ فقد بذلنا كلّ تلك الجهود، وأوقعنا النفس في المشاكل والمتاعب سنوات مديدة، فإلى ماذا ستصير هذه المسألة؟ ما شأنك أنت بمصير الأمور؟ وما هو دخلك بذلك؟ أفهل أنت وصيّ على الدين؟ أفهل أنت صاحب الدين والقيّم عليه؟ ومن الذي منحك هذه السلطة؟ فليس فقط تنحيتُك جانباً لا تأثير لها، بل تعال، ومُت هذا اليوم، ثمّ انظر هل سيؤثّر ذلك في الأمور أم لا؛ لا يا عزيزي، فالدين له صاحب، وصاحبه حيّ، وهو حيّ منذ ألف ومائتي سنة؛ ولن يحصل له أيّ شيء، وأنا أضمن لك ذلك!

فإمام زماننا لن يُصاب بأيّ مكروه، بل هو في صحّة جيّدة، فلا يضطرّ لتناول الأسبرين ولا الأستامينوفين، ولا أخذ حقنة البنسلين، ولا يُصاب بالصداع، ولا بالانزلاق الغضروفي، لماذا؟ لأنّه يُراعي أمور الصحّة والسلامة؛ فلا يحتاج بعدئذ للأستامينوفن، ولا للأقراص الكذائيّة، ولا الحقن، و... أفهل رأى أحدٌ إلى حدّ الآن إمام الزمان في الصيدليّة؟!

أم هل إنّه اضطرّ لزيارة أيّ طبيب؟! بخلاف نحن؛ لأنّنا جاهلون، ولا اطّلاع لنا على الأمور؛

ولهذا، تجدنا نذهب إلى هنا وهناك. فالدين له صاحب؛ وحينئذ، ما معنى التدخّل والفضول

والاغتمام؟ حيث تجد أحدهم يقول: «هذا سيحصل إذا لم نوجد نحن؟ وما الذي سيُصيب

الإسلام إذا لم نكن نحن؟» ما معنى هذا الكلام؟ ما هذا الكلام الفارغ؟ ما هذه الترّهات؟ فالدين

له صاحب، وولّي، وقيّم، وله سيّد؛ وقد أُمرت بأن آتي إلى هنا بمقتضى التكليف، وأتحدّث لمدّة ساعة واحدة، ثمّ أذهب بعد ذلك إلى حال سبيلي؛ هذا فقط، والسلام! وانتهى الأمر! فإذا

قمت بذلك، فإنّ صاحب هذا الدين سيُوقّع على عملي؛ وإذا لم أقم بذلك، فإنّه لن يُوقّع عليه؛ فهذا الأمر يشملني أنا، ويشمل الرفقاء أيضاً.. كلٌّ بمقتضى حسابه وتكليفه الخاصّين.

ثمّ قال لي بعد ذلك: «يا عزيزي، ما عليك الخوض فيه هو درسك، وليست أحجار

المسجد وبنايته وحديده؛ فاذهب واشتغل بدراستك، واهتمّ بنفسك»، وهذا الكلام ممّن صدر؟

لقد صدر من رجل تمكّن من الوصول إلى منتهى الواقع والاعتباريّات، ومن تعيين الحدود

القائمة بين الاعتبارات والحقائق؛ فتجد أحدهم يقول: «أيّها السيّد، لولا نحن، لبقي هؤلاء الأيتام على قارعة الطريق! وإذا لم نوجد نحن، فمن الذي سيؤدّي هذه الصدقات؟ وإذا لم نكن نحن، فإنّا نخاف ألا تُنجز هذه الأعمال! ولولا نحن، لانفلتت زمام الدين منّا! وإذا لم نكن نحن، فإن أساس الفقه والفقاهة والتقوى سينهدم!» لا يا عزيزي، لن ينهدم أيّ شيء بتاتاً.

ذات يوم، حصلت قضيّة لأحدهم في إحدى هذه المدن، حيث جاء عندي، وقال: «يا سيّدي، أريد أن أعقد في اليوم الكذائيّ من الأيّام الفاطميّة مجلس عزاء في منزلي، وأقيم مأدبة إطعام أيضاً بهذه المناسبة» لكن، لم يتّضح لي كثيراً الهدف والغرض من هذه المسألة، فقلت له: «حسناً جدّاً، حالياً، قم بالإطعام» فلمّا قام بذلك، رأى بأنّ الأمر ليس بسيء، بل هو جيّد، فمرّ شهر واحد، وحلّت مناسبة أخرى، فقال لي: «يا سيّدي، هل تأذن لي بإقامة مأدبة إطعام؟» فقلت له: «هل تملك مالاً وفيراً؟ إذن، امنحني أموالك، كي أهبها لذاك المسكين الذي عقد مجلس عزاء في بيته لمدّة خمسة أيّام، ويُريد أن يقيم مأدبة للإطعام، لكنّه يفتقر للمال» فقال لي: «لكنّني يا سيّدي، عقدت نذراً» فقلت له: «أنا أتحمّل مسؤوليّة نذرك؛ أ فلم تكن تريد الاستفسار عن مسألة شرعيّة؟ أنا سأتكفّل يوم القيامة بإرضاء الله تعالى عنك! فمن هذا الذي تسعى لخداعه؟ فإذا كنت تريد الاستفسار عن مسألة شرعيّة، فأنا أقول لك: امنحني المال، وأنا سأتكفّل بنذرك» لكنّه لم يقبل؛ فهذا امتحان مفاجيء! ونحن بوسعنا أن نمتحن أنفسنا، لكن، أو الأمر صعب؛ فالمأدبة ينبغي أن تُقام في بيتنا؛ فمع أنّ المأدبة هي مأدبة الإمام الحسين، أو السيّدة الزهراء، فيأتي الناس، ويذهبون، ونقول: «نعم به وأكرم، فقد كانت المأدبة لله والحمد» لكن، ما هو باطن هذه الامتحانات والامتحانات؟ باطنها متّصل بأمور لا ينبغي أن تتّصل بها.. متّصل بالنفس! فالصورة صورة إلهيّة، لكن لها حدّ ومقدار معيّن ومراتب خاصّة؛ فأنا لا أريد أن أقول: إنّ كلّ إنسان هو بهذا النحو، وأنّ جميع أعماله ...؛ فبنفس ذلك المقدار يكون الإنسان أقرب.

فالأداء الأعمال ينبغي أن يكون وفق ما يقتضيه التكليف

ولهذا، حينما غادر المرحوم العلاّمة مسجد القائم، فإنّه فقد جميع تلك الشؤون والجوانب الاجتماعيّة؛ وأحياناً، حينما كنّا نتحدّث عن هذا المسجد، ونقول: «يا سيّدي، لقد

صار مسجد القائم بالحنو الكاذبي، ويُقال إنّ بعض المسائل أصبحت بهذا الشكل» فإنّه كان يقول: «لم أعُد أريد سماع أيّ شيء عن مسجد القائم» هكذا، بكل سهولة، وقاطعًا الطريق أمام كلّ معترض؛ وحينئذ، من سيكون هذا الشخص؟ سيكون شخصًا لا وجود له في الواقع، ولن يكون له وجود، ولو رحل إلى الفضاء، لكان عمله ممضيًا، ولو ذهب إلى أستراليا، لكان عمله ممضيًا، ولو ذهب إلى الجنّة، لكان عمله ممضيًا، ولو رحل إلى إفريقيا، لكان عمله ممضيًا؛ وسيكون فعله ممضيًا في أيّة منطقة من الصحراء، وفي البحر، والمدينة، وفي كلّ مكان؛ فهذا أساس ومرتكز حركة الإنسان وسلوكه.. هذه هي حقيقة المسألة.

ومن هذا، فإنّ ما يُريده الله تعالى منّا هو هذا المقدار فقط: أن نُؤدّي أعمالنا وفق ما يقتضيه التكليف فقط، من دون أن نلصق أيّ شيء بأنفسنا، أو نضيف شيئًا من عندنا، أو نتدخّل في الأمور، ونزيد على فعل الله تعالى؛ فلا ينبغي علينا أن نكون ملكيّين أكثر من الملك، بل علينا أن نتحرّك في ضمن الحدود الخاصّة بكلّ عمل نقوم به؛ فعلى التاجر أن يتحرّك في داخل حدوده الخاصّة، وعلى العالم أن يكون مطّلعًا في حدوده الخاصّة ـ على ما يقول، وعلى نوع العلاقة التي يقيمها مع الناس؛ وحينئذ، سيحضى هذه العلاقة بأهمّ جدًّا؛ كما عليه أيضًا أن يرى ما هي المسائل التي يتعيّن عليه أخذها بعين الاعتبار، بحيث تكون مُلزِمة بجعل ارتباطاته قائمةً على أساس التوحيد، وليس على أساس العلاقات الشخصيّة؛ فلا ينبغي أن نتدخّل هذا هذه العلاقات؛ هذا، ويُمكن لكلّ واحد منّا الالتزام بهذه الأمور. وفي هذه الحالة، ستصير الارتباطات الخارجيّة والداخليّة، والارتباطات بالزوجة والأولاد والعائلة والأقرباء، والارتباطات بالخارج والعمل كلّها في مستوى واحد، بحيث إذا خرجت أيّة حلقة من هذه الحلقات عن مكانها الخاصّ، فإنّ ذلك سيترك تأثيره على الإنسان؛ فإذا تصرّف الإنسان بنحو أدّى به إلى التقصير في الاهتمام بالزوجة والأولاد، فإنّ ذلك سيُؤثّر على أحوالها؛ فهذه الحلقة الآن لم توضع في موضعها المناسب.. لماذا؟ لأنّ للزوجة والأولاد مكانهم الخاصّ أيضًا.. شأنهم في ذلك شأن بقيّة الناس.

نُريد؛ وبنوع من الدقّة في البداية بوضع ذلك الأساس اعتمادًا على مسألة التوحيد؛ لاحظوا، فقد قمنا في بداية الحديث بوضع أساس ما، فما هي الأمور التي علينا أن نُشيّد فوقه؟ وما هي المسائل التي يتعيّن علينا أن نضعها فوق هذا الأساس الذي بنيناه الآن؟ افرضوا أنّه لدينا هنا أساسًا للجدار، ونُريد بناء غرفة، فإنّنا نجعل الجدار أبعد من الأساس بمتر واحد؛ ففي هذه الحالة، فإنّ علينا أن نضع أساسات الجدار، وأساسات الدعائم والركائز في موضعها المناسب؛ ومن هذا، علينا في مثل هذه الظروف اعتبار كلٍّ من العلاقات العائليّة والخارجيّة، وجعلها في مستوى واحد؛ فالعلاقات ينبغي عليها أن تكون في مستوى، والارتباط مع الأرحام ينبغي أن يكون في مستوى؛ وكما يتعيّن أيضًا اعتبار التواجد بالبيت ونوع العلاقات القائمة بالمنزل في نفس المستوى،

لمسائل على المستوى ذاته، وجعله بنفس تلك الطريقة؛ وحينئذ، لن يكون بالإمكان اعتبار المسائل الأسرية في الشؤون العائليّة بحيث يكون من شأن التقصير في المسائل السلوكيّة، بحيث يكون من شأن التقصير في المسائل النفسانيّة والسلوكيّة للإنسان الداخليّة إحداث آثار مهمّة على المسائل العائليّة.

تأثير التقصير في التكاليف العائليّة على سلوك الإنسان

جاء أحدهم عند أحد العظماء الشاكيًا له أحواله، وأنّه لا يترقّى، ولا يتقدّم إلى الأمام، وأنّه يُعاني أحيانًا من هذه المسألة؛ فالتفت إليه ذلك العظيم، وقال له: «هل تُسيء معاملة زوجتك وأولادك؟!»؛ هذا، مع أنّه لم يكن لأيّ أحد اطّلاع على هذا الأمر، وقال له: «إنّ سبب ذلك يرجع إلى هذه المسألة».

أتذكّر أنّ إحدى المسائل التي كان المرحوم السيّد الحدّاد يصوّيها مرارًا وتكرارًا هي مسألة مراعاة الوالد المرحوم لوظائف العائلة ـ بالنسبة إلى الأولاد وكذلك أصدقاء الأولاد ـ وليتنبّه الرفاق إلى هذا الأمر ـ مسألة مراعاة شؤون العائلة، كالاهتمام بأولاده، وأصحابهم ومواقفهم، ومنازلهم، وأزواجهم وأولادهم، وأصدقائهم، وأرحامهم، وخصوصًا الأولاد والأزواج، كما ينبغي؛ فإنّ الله تعالى من الإنسان، لا أن يقوم الإنسان بكلّ هذه الأمور بنفسه، بل عليه أن يجلب لها الأشخاص المناسبين، أو يُفوّض بعض الاهتمامات في محلّ غير مناسب، وموضع غير مناسب، ومع مراعاة المعايير التي حدّدها الله تعالى للإنسان.

ومن باب المثال، في أغلب الأوقات التي كان المرحوم الوالد يتشرّف فيها بزيارة كربلاء، كان أحد أصدقاء المرحوم السيّد الحدّاد يُحبّ كثيرًا أن يأتي إلى كربلاء، كان يرغب في المجيء إلى هناك، مع أنّ بيته يقع في النجف؛ بمعنى أنّ منزله يقع في البريّة بين النجف وكربلاء، فإنّ ذلك يفرض الحاجة إلى وجود شخص كبير في السنّ [بالبيت]؛ إذا من الممكن [أي العائلة هناك] أن تُحدث بعض الاختلالات والأحاسيس والأمور الأخرى الخوف لدى الناس

هي مسألة طبيعيّة؛ فكان ذلك الشخص يُريد أن يأتي، بيته هناك؛ أي مثلاً أنّه كان يأتي مصيبة الخميس أو الجمعة، يُريد البقاء ليلة السبت أيضًا بسبب مجيء المرحوم العلاّمة.

لقد كان حديث المرحوم الوالد مع السيّد الحدّاد يبدأ للتوّ بعد منتصف الليل؛ فكانا يجلسان، يتحدّثان، يُضيّعان الصباح؛ هذا، مع أنّنا لم نكن نفهم عن ماذا يتكلّمان؛ فكان ذلك الشخص يجلس أيضًا، و...، فكان المرحوم السيّد الحدّاد يقول له: «هيّا سيّد، اذهب إلى أهلك وأولادك!»؛ فكان يقول له: «لا، لقد جاء السيّد محمد الحسيني، لقد جاء السيّد محمد الحسيني»؛ فكان يقول: «سيّدي، إنّ هذا يصعب عليّ كثيرًا»؛ فكان المرحوم السيّد الحدّاد يذكر له ذلك مرّة واحدة، فكان يقول له: «المسألة هي هذا الحنو»؛ فكان المرحوم السيّد الحدّاد يقول له: «المسألة مرّة واحدة، لا يُعيد الحديث مرّة ثانية، حيث كانت هذه هي عادته؛ أي أنّه يذكر المسألة مرّة واحدة، ولا يكرّرها مجدّدًا؛ غير أنّه كان يُبدي حساسيّة شديدة تجاه مسألة مراعاة الشؤون العائليّة.

وقد حكى لنا المرحوم الوالد أنّ ذلك الشخص أتى في أحد الأيّام، فكنّا جالسين، وحينما انقضى وقت الغروب، قال له السيّد الحدّاد: «حسن جدًّا، لقد تأخّر الوقت، اذهب إلى بيتك! وكفاك التعب من زيارة العتبات المقدّسة بعد أداء الحجّ، فكانت تلك المنطقة بأجمعها وإلى منتهى حدّ البصرة عبارة عن بريّة، ولم يكن هناك إلاّ بعض المنازل والأشجار؛ ففي هكذا أوضاع، سيشعر أهل المنزل بالخوف والاضطراب؛ بينما تُريد أنت أن تُقصّر في بعض الأمور بسبب علاقتك بالأستاذ، وحصولك على بعض الحالات، وارتباطك بالرفيق، وأنّك تستمتع، وتتحدّث، وتضحك، وتستفيد بعض المسائل، فإنّ جلوسك هذا يتسبّب في اهتزاز قلب شخص آخر، وخوفه؛ فما الذي فعلته للحيلولة دون ذلك؟! ولذلك، فإنّ هذا الجلوس سيؤدّي إلى قساوة القلب، لكنّ النفس تأتي بتُسليّة بتلك الأمور، بينما يسعى الأستاذ لإخراج هذه النفس، وسحبها للخارج، ويُريد التقليل من التعلّقات، وإضفاء جانب الطهارة على النفس، غير أنّ ذلك الشخص يتسبّب بعمله في قساوة قلبه من دون أن يعلم، ظنًّا أنّه جلس يستمتع، ويتحدّث، ويستمع الأسرار، لكن، ما هي فائدة سماعه لهذه الأسرار؟ أجل، لقد كان يُصغي للأسرار، ومطّلعًا على العديد منها، حيث أشار المرحوم العلاّمة بنفسه إلى أنّ الله تعالى فتح بصيرته لرؤية الأسرار وسماعها، لكنّ مجرّد الإصغاء للأسرار لا يكون هو وظيفة الأمر.

حقيقة السلوك في ترك التعلّقات وليس الاطّلاع على الأسرار

وتقول: ﴿عَلَّمَنَاهُ﴾ وعبارة، لا توجد لدينا في القرآن الكريم آية تتحدّث عن قصّة بعلم بنعبارة ﴿مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾؟! أي أنّنا وهبناه من عندنا تلك العلوم التي لا يهبها للآخرين؛ وبسبب هذا العلم، صار مستجاب الدعوة، بحيث كان يُستجاب كلّ شيء يدعو به؛ فتأتي، وتحاول استخدام هذا العلم لتولّي الله تعالى.. حضرة موسى عليه السلام، لكنّ غيرة الله تعالى لا تسمح بذلك.. لقد أخذت منّي ذلك الشخص، وأردت أن تستخدمه لتولّيي!! هذا غير ممكن! وقد أبلغني ذلك الشخص، وأردت أن تستخدمه لتولّيي!! هذا غير ممكن! وقد أبلغني بنفس هذه العبارة، حيث تمكّن من الاطّلاع على بعض المسائل، فصار يرى بعض الأسرار، ويقول: «إنّني جالس عند السيّد، وتستمتع، وتتحدّث، وتضحك.. أجل، مجموعة من الأسرار، لقد حضرنا عنده ذلك المجلس، فكم كانت جيّدة تلك المسائل التي تكلّم عنها! وكم استفدنا

---

1. سورة الكهف، الآية ٦٦.

!رعشتن أن دون أسكر من رأسك على حتّى بل ،أئيش دفتست تنأ ،بلطلا ئباصلا ،نيكسملا اهيّأ يا «!اهنم

صخص تغ عرّجتو ،ةبحصلا ةمدم رارمت ،وذتقوتو ،وهذبت ،كناكم نم متمقد تنك ولف

!ءاعدلا ةراقو ،كحضلاو ،ثيدحلاو ،عتامتسلاو ،سولجلا

وأ ةيوينّد ،ءاوس تناك ،تاقلّعتلا ةفاكّ عن سفنلا عن كحب ةراعبر عن سملا ةلئسلا

ةيوخرأ ؛اذكو الجا سلا مهانكلم يكيحين عن قصةكليلة مدونة ،بلطلا كلذ نوكت لا ةيهلإلا ةيهفلا ؛ًلاعفو أما ؛اذإ لاّ إ كلذكن وكت لا ةيهلإلا ةيهفلا في وضعهاف ؛اذاما ؟صخشلا كلذ سأر بلط حلّ مهاتسا ،ةيناطيشلا ةيهفلا ؛اذإ ،ةيهلإلا ةلئسلا نكل ،ةيهلإ

ةمّلاعلا مهحرملا ،بسبب كلت ،ليلاي تلا ةيمتنلا فيهاب ،اذهاب ،بحو .حلّ كلذ بسأرهـ ؟

ةاقل إنّ ،كاذه ؛كاف نأكاذ ؛اذه ،عم نّأ ،ةئيش ًاركذت وهف ؟[لئسلا كلت نم] ذاتسلأا هيلع ىصحل يذلا امف ؛ءيش

كلذ ،لجلأو ،كلت غارفلا طاقن نم كصّلخت لجلأ ،تنأ كسمو كيرط لجلأ يهـ لئسلا

!ءاعدلا ةراقو ،كحضلاو ،ثيدحلاو ،عتامتسلاو ،سولجلا

وأ ةيوينّد ،ءاوس تناك ،تاقلّعتلا ةفاكّ عن سفنلا عن كحب ةراعبر عن سملا ةلئسلا

ةيوخرأ ؛اذكو الجا سلا مهانكلم يكيحين عن قصةكليلة مدونة ،بلطلا كلذ نوكت لا ةيهلإلا ةيهفلا ؛ًلاعفو أما ؛اذإ لاّ إ كلذكن وكت لا ةيهلإلا ةيهفلا في وضعهاف ؛اذاما ؟صخشلا كلذ سأر بلط حلّ مهاتسا ،ةيناطيشلا ةيهفلا ؛اذإ ،ةيهلإلا ةلئسلا نكل ،ةيهلإ

ةمّلاعلا مهحرملا ،بسبب كلت ،ليلاي تلا ةيمتنلا فيهاب ،اذهاب ،بحو .حلّ كلذ بسأرهـ ؟

ةاقل إنّ ،كاذه ؛كاف نأكاذ ؛اذه ،عم نّأ ،ةئيش ًاركذت وهف ؟[لئسلا كلت نم] ذاتسلأا هيلع ىصحل يذلا امف ؛ءيش

كلذ ،لجلأو ،كلت غارفلا طاقن نم كصّلخت لجلأ ،تنأ كسمو كيرط لجلأ يهـ لئسلا

كّنإف ،ةدّيجاهّنإ :لوقت ،نكل ؛كلاوكامل ةيلعفلا كغولبل يبسي فو ،لهجلا كحو كلذ طاقن

.كبجعُين اكإذ كلذ لعفاو بهذا ،ًادجن سحو «وحنلا كلذ اهديرأ انأف ،لا» :لوقت

كان هناك أحد الأصدقاء من الأطبّاء المشهورين انتقل إلى رحمة الله تعالى، وقد سنحت الفرصة لنتذكّره الآن رحمة الله تعالى عليه؛ وهو الدكتور منوشهر لاري، حيث كان طبيبًا أخصّائيًا في أمراض الدم بمشهد، وكان يُعالج المرحوم العلاّمة بعد إصابته بمرض اليرقان، فكان يقول: «ذات يوم، جاءت عندي امرأة، وأخبرتني بأنّ قلبها يُؤلمها، فقلت لها اسمحي لي الآن بفحصك، من دون أن تُخبريني بالموضع الذي يُؤلمك، ففحصتها، ورأيت بأنّ الألم يرتبط بمعدتها، وليس بقلبها».. عذرًا، فقد قالت إنّ قلبها أو معدتها تؤلمها، أو بالعكس، ويبدو أنّ قلبها هو الذي كان يُعاني من الألم، لكنّها اعتقدت أنّها معدتها، فقال الدكتور: «فوصفت لها دواء لعلاج القلب»، ثمّ قال: «ذهبتُ صدفة لصيدليّة الإمام الرضا الواقعة في جانب مستشفى الإمام الرضا الكائن في ساحة الإمام الرضا بمشهد، لكي أشتري دواء من هناك؛ فرأيت أنّ تلك المرأة جاءت بدورها إلى هناك، وسلّمت مسؤول الصيدليّة تلك الوصفة، لكنّها كانت تُحدّثه ببعض الأمور، فقال لي ذلك المسؤول فجأة: يا حضرة الدكتور، هل هذه وصفتكم؟ فقلت له: أجل، إنّها وصفتي، فقال لي: إنّ هذه السيّدة تقول إنّها تُعاني من ألم في معدتها، لكنّك وصفت لها دواء لعلاج القلب؛ فقلت: نعم أيّتها السيّدة، إنّ قلبكم هو الذي يُعاني من الألم، وليست معدتكم؛ فقالت لي: من الذي يعلم أكثر: أنا أو أنت؟

فقلت لها: لا.. أنت تعلمين أكثر، فخذي هذه الأدوية الموجودة هنا المختصّة بالمعدة، وتناوليها كلّها!!»؛ وحينئذ، تجدنا ندّعي أحيانًا بأنّنا نفهم الأمور بشكل أفضل؛ فهو يصف لنا الدواء، ويقول: «يا عزيزي، أنا أرى ما الذي يحدث في نفسك»، لكنّنا نقول له: «لا، أنت لا تفهم».. حسن جدًّا، إذا كنتُ لا أفهم، فاذهب، واعمل بمقتضى وصفتك أنت! وتجدنا نقول أيضًا: «أنا هكذا أرى الأمور، وهكذا أفهمها».

هتوقو هلوحب انقّفوُينأ ىلل اعتلا هو عدن انّنإف ،ثحبلا اذه ىلإ انلصو امدعب هّذأ ىفخيلاو طابترلاا ةقيرطو ،هنوؤشم يظنتو ،لزنملا روم أب طابترلاا ةّيفيكءاقدصلأل نّيبن يكل ةلسألما هذه نأشب امظعلا اهركذ يتلا رماولأاو فيلكتلاو ،ةلئاعلاب.

أنيمي ةرهاظلاو ةمصعلا تيبل هأ طارصنع أدبأ فرحننّ لاأ ريدقلا ّيلعلا نم وجرن ،وأ ءادفلا هلا انحاورأ الله ةّيقبة رضحءلاو لايذأب ثّبشتلا نع انيديأ رصقيّ لاأو ،ًلاامشوأ ةرخلآاو ايندلا في ميظعلا اذه ةياعنأ دئاز انبهي.

.دّمحم لآو دّمحم ىلع ّلصم هللا